﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: 8 - 11]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بيانُ حالِ أهلِ الشَّقاوةِ بعدَ بيانِ حالِ أهلِ السَّعادة

لمّا ذكرَ ﷺ فيما سبقَ المزكّيَ وثمَرَته؛ أتبعَهُ المُدسّيَ وشِقْوتَه، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ الآيات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَخِلَ﴾: (بخل) أصلٌ يدلُّ على خِلاف الكرم[1]، والبخل: إمساكُ المقتنَياتِ عمّا لا يحقُّ حبسُها عنه، ويقابلُه الجود، وأمّا البخيلُ فهو الَّذي يَكثُر منه البخل، والبخلُ نوعان: بخلٌ بقُنْياتِ نفسه، وبخلٌ بقُنْياتِ غيره، وهو أكثرُها ذمًّا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: 37][2]، والمرادُ بالبُخل هنا: عدمُ إنفاقِ المالِ في الخير[3].

2) ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ ﴿وَمَا يُغۡنِي﴾: (غني) أصلٌ يدلُّ على الكفايةِ[4]، ومِنْ ذلكَ: الغِنى، وهو يقالُ على أنواعٍ: أحدُها: عدمُ الحاجاتِ، وذلكَ لا يكونُ إلّا لله تعالى. والثّاني: قلّةُ الحاجاتِ. والثّالثُ: كثرةُ القُنْياتِ. ويقالُ: غَنيتُ بكذا، واستغنيتُ وتغنَّيتُ، وتغانيتُ. ويقالُ: أغناني كذا، وأغنَى عنّي كذا، إذا كفاني[5]. والمرادُ بالاستغناء: الاستغناءُ عنه تعالى بتركِ التَّقوى[6]، أو إيثارِ

(1) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (بخل).
(2) الراغب، المفردات: (بخل).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 84.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(5) الراغب، المفردات: (غني).
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 651، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 421.

شهواتِ الدُّنيا عن نعيمِ الآخرة[1]. والمرادُ بعدمِ الإغناءِ هنا: عدمُ النَّفع والمنعِ والحمايةِ[2].

3) ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: (عسر) أصلٌ يدلُّ على صعوبةٍ وشدَّة[3]، ومن ذلك: العسير، وهو النّاقة الَّتي لم تُرَضْ، والعُسرُ: ضدُّ اليُسر[4]، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: 7]، ويُقال: أعسَرَ الرَّجلُ: أضاقَ[5]، وتعاسَرَ القومُ، أي: طلبوا تعسيرَ الأمر، ويومٌ عسير: شديدٌ تتصعَّبُ فيه الأمور[6]. والمُراد بالعُسرى هنا: طريقُ الشَّرِّ[7].

4) ﴿تَرَدَّىٰ﴾: (ردي) أصلٌ يدلُّ على رميٍ أو تَرام وما أشبَه ذلك[8]، ومن ذلك يُقال: ردَّيتُ الحجرَ بصخرةٍ أو بمِعْوَلٍ، إذا ضربتَه بها لتكسِرَهُ[9]، وتردَّى وارتدى: لبس الرِّداء[10]، ورَدِيَ يَرْدَى رِدًى فهو ردٍ، أي: هالكٌ، وأرداهُ اللّه[11]، وتردَّى في الهوَّة، وتَرَدَّى من الجبل: سقط[12]، والتَّرَدّي: التَّعرُّض للهلاك[13]. والمُرادُ به هنا: السُّقوطُ في جهنَّم[14].

المَعْنى الإجْماليُّ:

سـوءُ مـآلِ البـخـيـلِ تـارِكِ الإيـمـانِ والتَّوحيد

يقولُ تعالى ذِكرُه: وأمّا مَن بَخِلَ بالنَّفقةِ في سبيلِ اللّه، ولم

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 317.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 651.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (عسر).
(4) الجوهري، الصحاح: (عسر).
(5) الرازي، مختار الصحاح: (عسر).
(6) الراغب، المفردات: (عسر).
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 417.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ردي).
(9) الجوهري، الصحاح: (ردي).
(10) الرازي، مختار الصحاح: (ردي).
(11) الخليل، العين: (ردي).
(12) الزمخشري، أساس البلاغة: (ردي).
(13) الراغب، المفردات: (ردي).
(14) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 476.

يَصرِفُ ما وهَبَ اللهُ له من فضلِهِ في الوجوهِ الَّتي أمرَهُ اللهُ بصَرفِهِ فيها، واستغنى عن ربِّهِ، فلم يَرغَبْ إليه بالعملِ بطاعتِهِ، وكذَّبَ بالخَلَفِ من اللهِ على ما أنفَق، أو بمَوعودِ اللهِ، أو بـ (لا إله إلا اللهُ)؛ فسنُهَيِّئُهُ للعمَلِ بما لا يُرضي اللهَ تعالى، ولا ينفعُهُ مالُهُ إذا سقطَ في جهنَّم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ عطفِ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ معطوف على قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾. ونكتةُ العطف: ذِكرُ المُدسّي وشِقْوتِهِ بعدَ ذِكرِ المُزكّي وثمرَته[2]؛ ليكونَ السّامعُ على إحاطةٍ بحالِ الفريقين، وفي ذلك توفيةٌ لمقام التَّرغيب والتَّرهيب.

تتميمُ مقامِ التَّرغيبِ والتَّرهيب

دلالة (أمّا) في الآية:

(أمّا) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ تفيد الشَّرطَ والتَّفصيلَ، وهو يتضمَّن أداةَ شرطٍ وفعلَ شرطٍ؛ لأنَّه بمعنى: مهما يكُنْ من شيء، والآيةُ من تتمَّة تفصيلِ السَّعي المذكور في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾.

تفصيلُ إجمالِ السَّعي بذِكرِ سَعيِ أهلِ الشَّقاء

دلالة ﴿مَنۡ﴾ في ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾:

لمّا كان الوعدُ بتيسير العُسرَى لصاحب الصِّلاتِ الدّالَّة على أعمال البُخلِ والاستغناء والتَّكذيب؛ كان سلوكُ طريق الموصوليَّة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾؛ للإيماء إلى وجهِ بناءِ الخبر، وهو التَّيسيرُ للعُسرى، فتعيَّن أنَّ التَّيسيرَ مسبَّبٌ عن تلك الصِّلات، أي: جزاءٌ عن فِعلِها[3]،

تيسيرُ للعُسرى نتيجةُ الأفعالِ القبيحة

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 471 - 476.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 91.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382، 386.

والموصولُ من ألفاظ العموم، فيعمُّ كلَّ مَن يفعلُ البُخلَ، ويَستغني، ويُكذِّبُ بالحُسنى.

نُكتةُ التَّعبير بالماضي:

التَّيسيرُ للعُسرى لمَن كانَ راسخًا في أفعالِ الشَّرِّ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ التَّيسيرَ للعُسرَى يكونُ لمَن تحقَّقَ منه البخلُ والاستغناءُ والتَّكذيبُ، واتَّصَفَ بهذه الصِّفات، حتَّى كانت بمنزلةِ الصِّفاتِ الجِبِلِّيَّة الَّتي لا تنفكُّ عن صاحبها.

سرُّ التَّعبيرِ بالبُخل دون الشُّحّ:

منعُ الكافرِ حقَّ اللهِ في مالِهِ

آثرَ التَّعبير بالبُخلِ في قولِه: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ دونَ الشُّحِّ لوجود فرقٍ بينهما؛ فالشُّحُّ: الحرصُ على مَنعِ الخَير، والبُخلُ: منعُ الحقِّ[1]، والشُّحُّ: البُخلُ مع حِرصٍ، فهو أبلغُ وأشَدُّ[2]. وقد عُبِّرَ بالبُخلِ هنا؛ لدلالتِهِ على أنَّ الكافرَ يَمنَعُ حقَّ اللهِ في مالِهِ؛ فلم يَبذُلْهُ في وجوهِ الخير.

سرُّ تخصيصِ البُخل بالذِّكر مع شُمول الاستغناء له:

البُخلُ بالحقوقِ من شعارِ المُشركين

خُصَّ البُخلُ بالذِّكر في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ مع شمولِ الاستغناء له؛ لتحريضِ المسلمين على الإعطاء؛ فالإعطاءُ والتَّقوى شِعارُ المسلمينَ مع التَّصديق بالحُسنى، وضدُّ هذه الصِّفاتِ السّابقة البُخلُ وعدمُ التَّقوَى وعدمُ التَّصديقِ بالحُسنَى من شِعار المشركين[3].

سرُّ الابتداءِ بالبُخل مع أنَّه أدنى رتبةً ممّا بعده:

البُخلُ أصلٌ في التَّيسير للعُسرى

صُدِّرتِ الآيةُ بالبُخلِ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨

(1) العسكري، الفروق، ص: 176.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 267.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 386.

وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ مع أنَّه أدنى رتبةً ممّا بعده في استتباعِ التَّيسير للعُسرى؛ للإيذانِ بأنَّه أصلٌ فيما ذُكر، لا تتمَّةٌ لِما بعدَهُ من التَّكذيب والاستغناء[1].

نُكتةُ حذفِ متعلّق ﴿بَخِلَ﴾:

لم يُذكر متعلّق فعل ﴿بَخِلَ﴾ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾؛ لظُهورِه من المقام، والمرادُ به: البخلُ بالمال[2]، وعدمُ بذلِه في سبيلِ الخير[3]. ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾. ويحتملُ أن يكون أعمَّ من ذلك، فيشمل البخلَ بالإيمان وغيرِه من الأقوال الَّتي حقُّ الشَّريعة ألّا يُبخَلَ بها[4].

اتِّصافُ البخيل بكلِّ صوَرِ البُخل

نكتةُ عطفِ ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾:

عطف ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ على ﴿بَخِلَ﴾ من قبيل عطفِ العامِّ على الخاصِّ؛ لزيادة تفظيعِ شأنِ الكفرة، والتَّنصيصِ على رؤوسِ قبائحهم.

بلاغةُ التَّعبير بالاستغناء:

في التَّعبير بالاستغناء في قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ تقبيحٌ لحالِ المشركين؛ إذِ المرادُ به: الاستغناءُ عن امتثالِ أمرِ الله ودعوتِه؛ لأنَّ المُصِرَّ على الكفرِ المُعرِضَ عن الدَّعوةِ يعدُّ نفسَه غنيًّا عن الله، مكتفيًا بولايةِ الأصنامِ وقومِه. وقد يُرادُ به استغناؤُه بمالِه عن وعدِ الله للمُنفقينَ من مضاعفةِ الثَّواب، وعلى كلا المعنيينَ فالمرادُ أنَّهُ استغنى عن الله ورحمتِه وإنعامِه كما يزعمُ المشركُ.

المشركون يكتفون بولايةِ الأصنام

سِرُّ مقابلة ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ بـ ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾:

النّاظرُ في هذا التَّفصيلِ للسَّعي يَجِد مُقابلةَ الفِعل ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ في

تارِكُ التَّقوى مذمومٌ، ومِن رضا الله محروم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 167.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 166.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 490 - 491.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ بالفعل ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ مع أنَّ العبدَ لا يمكنُ أن يَستغنيَ عن ربِّه في أيِّ لحظةٍ، ولاسيَّما المُتَّقي فهو أكثرُ الناسِ استشعارًا بفقرِه وحاجتِه لربِّه؛ فلمّا قابلَ التَّقوى بالاستغناءِ هنا، كان الغرضُ تبشيعَ حالِ تاركِ التَّقوى والمبالغةَ في ذمِّه بأنَّه فعَلَ فِعلَ مَن يستغني عن ربِّه، لا فِعلَ الفقيرِ المُضطرِّ إليه سُبحانه؛ لأنَّه يعلمُ أنَّه لا غِنى لهُ عن فضلِ اللّه وجودِه.

ووجهُ جعلِ (استغنى) مقابلًا لـ (اتَّقى) دون أن يقال (ولم يتَّقِ): أنَّ المرادَ به الاستغناءُ عن امتثالِ أمرِ اللّه ودعوتِه؛ لأنَّ المُصِرَّ على الكُفرِ المُعرِضَ عن الدَّعوةِ يعدُّ نفسَه غنيًّا عن اللّه، مُكتفيًا بولاية الأصنام وقومه[1]، أو المراد: استغنى بشَهوات الدُّنيا عن نعيمِ الجنَّة[2].

دلالةُ السّين والتّاء في ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾:

السّينُ والتّاءُ في قوله: ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ للمبالغة في الفِعل، مثل سين استجابَ بمعنى أجابَ، والمُرادُ أنَّه بالغَ في طلبِ الغِنى بمالِه وولدِه ومِتاعِه، ولم يرغب في أن يَسألَ ربَّه من فضلِه أو يطلبَ ثوابَهُ، ويكون المرادُ بالاستغناءِ في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾: الاستغناءُ عن امتثالِ أمرِ اللّه ودعوتِه؛ لأنَّ المُصِرَّ على الكفرِ المُعرِضَ عن الدَّعوةِ يعدُّ نفسَه غنيًّا عن اللّه، مكتفيًا بولايةِ الأصنامِ وقومِه، وقد يُرادُ به زيادةُ طلبِ الغِنى بالبُخلِ بالمال، فتكونُ السّينُ والتّاءُ للطَّلَبِ.

المُشرك يُبالغُ في الإعراض عن الله

نُكتةُ حَذفِ متعلّق الاستغناء:

حُذفَ متعلّق الاستغناءِ في قوله تبارك شأنه: ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ لظُهورِه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 387.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 16/ 471.

من المقام؛ إذ المُراد: واستغنى عن امتثال أمرِ الله ودَعوَتِه[1]، وفي الحذفِ إيجازٌ ورعايةٌ لتلاؤمِ الفَواصِل.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ على ما قبله؛ للمبالغةِ في تعدادِ قبائحِ المشركين، وبيانِ أنَّها متعدِّدةٌ ومتنوِّعة، وما ذُكِرَ هنا هو بعضُها الَّذي هو أصلُ كثير من المفاسد.

دلالةُ الباء في ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

التَّكذيبُ منصَبٌّ على الحُسنى

الباء في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ للتَّعدية، فتفيد أنَّ التَّكذيب منصبٌّ على الحُسنى ومتعلِّق بها، وفي ذلك تهجينٌ لحالهم؛لأنهم لا ينفكون عن التكذيب بالحسنى عنادًا واستكبارًا مع أن حقَّ الحُسنى التَّصديقُ بها، لا التَّكذيب بها.

بلاغةُ التَّعبير بلفظ الحُسنى معرَّفًا:

الجاهلُ يقطعُ أسبابَ السَّعادة

الحُسنى في قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تأنيثُ الأحسَن[2]، فتفيد حُسْنَ الموصوف بها - وهو ملَّة الإسلام، أو الجنَّة، أو كلمة التَّوحيد، أو الخَلَفُ من الله تعالى على العطاء والإنفاق - حُسنًا بالغًا، ومع ذلك فإنَّ المشركين يُعرضون عمّا فيه فلاحُهم ونجاحهم، ويسلكون سبيل الكفر والتَّكذيب، وهذا دليلٌ على قُبحِ فِكرِهم وسوءِ أخلاقِهم. وتعريف الحُسنى للعَهد؛ إذ المرادُ بها خصلةٌ معهودةٌ معروفة، وهي ملَّة الإسلام، أو الجنَّة، أو كلمة التَّوحيد، أو الخَلَفُ من الله تعالى على العطاء كما سبق.

نكتةُ حذفِ الموصوف في ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

الإيمانُ والتَّوحيدُ والجنَّة مطالبُ حسنة

الحُسنى في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تأنيثُ الأحسَن، فهي بالأصالة صفةٌ لموصوفٍ مقدَّر، وتأنيثُها مُشعِرٌ بأنَّ موصوفها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382 - 383.

المقدَّر يُعتبر مؤنَّثَ اللَّفظ، ويحتمل أمورًا كثيرةً مثل: الملَّة الحُسنى وهي ملَّة الإسلام، أو المثوبة الحُسنى وهي الجنَّة، أو الكلمة الحسنى، وهي لا إله إلا الله[1].

براعةُ الكناية في ﴿بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾:

البخلُ والاستغناءُ والتَّكذيبُ بالحُسنى سلوكُ المشركين

الأفعالُ المذكورةُ في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ كنايةٌ عن كون المتَّصفِ بها من المشركين[2]؛ إذ لا يُقدِمُ عليها غيرُهم؛ لأنَّهم سُلبوا رجاحةَ العقل، ورزانةَ الأحلام.

دلالة الفاء في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾:

الفاءُ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ واقعةٌ في جواب (أمّا)؛ لتضَمُّنها معنى الشَّرط، وفي الإتيان به تنبيهٌ على أنَّ التَّيسير للعُسرَى مترتِّبٌ على الخصال السّابقة.

دلالةُ السّين في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾:

وعدُ الله بالتَّعسير واقعٌ يقينًا

السّينُ في قوله ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ للتَّأكيد، كقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: 181][3]، فتفيدُ أنَّ التَّيسير للعُسرى متحقِّقٌ لا محالة، أو للدَّلالة على أنَّ الجزاء الموعود مُعظمُه يكون في الآخرة الَّتي هي أمرٌ منتظَرٌ متراخٍ[4]، أو هي واردةٌ على سبيلِ التَّرفيقِ والتَّلطيف، وهو من الله تعالى قطعٌ ويقين، ولأنَّ المُطيعَ قد يَصيرُ عاصيًا، والعاصيَ قد يَصيرُ بالتَّوبة مطيعًا[5].

نُكتةُ صَوغ فعلِ التَّيسير مضارعًا:

جيءَ بصيغة المضارع في قوله تعالى ذكره: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على التَّدريج، والمعنى: سيَظهَرُ تدريجُنا إيّاه في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382 - 383.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 367، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 367.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 185.

عملِ الشَّرِّ، حتَّى يُختمَ له بخاتمةٍ سيِّئةٍ قد كانت في عِلم الله أوَّلًا.

بلاغةُ إسنادِ التَّيسيرِ إلى نونِ العظمة:

عـظـمـةُ شـأنِ الـتَّـيـسـيـر للعُسرَى

إسنادُ التَّيسيرِ إلى نونِ العظمَةِ في قول الله ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ لتعظيم التَّيسير وتهويلِ شأنِه؛ ليَحذرَ منه العاقلُ، والمعنى: فنُهيِّئُهُ بما لَنا من العظمةِ للخصلة العُسرَى، ونُسهِّلُها له حتى تتعثَّرَ عليه أسبابُ الخير والصَّلاح، ويضعُفَ عن فِعلها[1].

بلاغةُ التَّعبير بالتَّيسير:

الـكـافـرون مُـنـهـمِـكـونَ في المعاصي

مَن فسَّرَ العُسرَى في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ بجهنَّم فسَّرَ التَّيسيرَ للعُسرَى بإدخالِ الله تعالى إيّاهم في النّار بسهولة، ومَن فسَّرَ العُسرَى بأعمالِ الشَّرِّ فالتَّيسيرُ لها عنده هو تسهيلُها على مَن أراد، وفي ذلك إيماءٌ إلى انهماكِ المُشركينَ في المعاصي، ولا مجالَ للاعتراضِ في إسنادِ التَّيسيرِ للعُسرَى؛ لأنَّ الواقعَ المُشاهَدَ يؤكِّدُ إقبالَ العُصاةِ والمشركينَ على ارتكابِ الأفعالِ السَّيئةِ دونَ غَضاضةٍ أو استشعارٍ للمشَقَّة.

دلالة اللّام في ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾:

اللّامُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ للتَّعدية، فتُفيدُ أنَّ التَّيسيرَ متعلِّقٌ بالعُسرَى، وهي بمنزلةِ مفعولِه الثّاني.

بلاغةُ حذفِ الموصوفِ في ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾:

تـيـسـيـرُ أهـلِ الشِّركِ والفسادِ لطريقِ النّار

في قوله ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ إيجازٌ بحذفِ الموصوف، والمعنى: فسَنُيَسِّرُهُ للخصلة المؤدّية إلى العُسرِ والشِّدَّة[2]، أو فسَنُيَسِّرُهُ لمكان العُسرِ والشِّدة، وهو جهنَّم؛ لأنَّها مكانُ العُسر والشَّدائد على أهلها، قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: 9 - 10][3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 91.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 317.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.

بلاغةُ التَّعبير بالعُسْرى:

آثرَ التَّعبيرَ بالعُسرى في قوله جلَّ ذكره: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ لِما تحملُهُ هذه الكلمةُ من بلاغةٍ في الآداء؛ إذ تدلُّ على المشقَّة، والمعنى: فسَنُيَسِّرهُ للخصلة الَّتي هي أعسَرُ الأشياء وأنكَدُها، وتُؤدّي إلى العُسر والشِّدَّة، وهي العملُ بما يُغضبُه سبحانه، وذلك يوجبُ دخولَ النّار وما أدَّى إليه[1]، ووصفُها بالعُسرَى باعتبار عاجِلِها وآجِلِها على صاحبها، وهذا إمّا على الاستعارة المصرّحة، أو المجازِ المُرسَل، أو التَّجوُّز في الإسناد[2]. ويحتمل أن يُرادَ بالعُسرَى النّار أو العذاب، ويكون المرادُ تسهيلَ ارتكابِ المعاصي[3].

أهلُ الكفر ميسَّرونَ للشَّقاء والعذابِ بما عَلِمَ الله فيهم من سوءِ عقيدتهم

دلالةُ تعريفِ العُسرَى:

العُسرَى في قوله ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ هي ما فيه مشقَّةٌ وشدَّة، والمُرادُ بها حالةُ العذاب، أو المكانةُ، أو النّار، وتعريفُها تعريفٌ للجنسِ أو العهد[4].

علَّة تأنيث العُسْرَى:

يدلُّ التَّأنيثُ في لفظ العُسرَى في قوله تعالى: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ على أنَّ المُراد بها جماعةُ الأعمال، وعلى هذا فوَجهُ التَّأنيث ظاهر، وإنْ كان المراد عملًا واحدًا رجعَ التَّأنيثُ إلى الخُلَّة أو الفَعْلة. ويحتمل أن يكون مرجعُ التَّأنيث إلى الطَّريقة، فكأنَّه قال: للطَّريقة العُسرَى[5]، أو الحالة، أي: حالةِ العُسرِ والشِّدَّة، أو المكانةِ[6].

الكافرُ مهيَّأٌ لأعمال الشَّرِّ والفسادِ

سِرُّ الجَمعِ بين التَّيسير والعُسرَى:

الجمعُ بين التَّيسير والعُسرَى في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ

إطلاقُ التَّيسير تهكُّمٌ بالمشركين

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 317، والبقاعي، نظم الدرر: 22/ 91.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 183 - 184.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.

﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ مع أنَّه ليس في العُسرَى تيسير؛ واردٌ على طريقةِ التَّهكُّم، كما في قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21]، والبشارةُ في الأصلِ على المُفرِحِ والسّارِّ، فإذا جُمِعَ في كلامَين هذا خيرٌ وهذا شرٌّ؛ جاءت البشارةُ فيهما. وكذلك التَّيسيرُ في الأصل على المُفرِح، فإذا جُمِعَ في كلامَين هذا خيرٌ وهذا شرٌّ؛ جاءَ التَّيسيرُ فيهما جميعًا[1].

وممّا يُذكَر في سِرِّ الجمع بينهُما أنَّه من باب تسميةِ أحدِ الضِّدَّين باسم الآخر، وهو مجاز مشهور كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، ويكون المعنى: لمّا سمَّى اللّه تعالى فِعلَ الألطافِ الدّاعية إلى الطّاعات تيسيرًا لليُسرَى، سمَّى تركَ هذه الألطافِ تيسيرًا للعُسرَى[2].

براعةُ القلب في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾:

العُسرَى عاقبةُ الكافرين

ترتيبُ النَّظم في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ واردٌ على عكسِ المُتبادِر؛ إذ جُعلَ ضميرُ الغيبة في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ العائدُ إلى مَن بخِلَ واستغنى وكذَّبَ بالحُسنى هو الميسَّر، أي: الَّذي صارَ الفعلُ صعبُ الحصولِ حاصلًا له، وإذْ وقع المجرور باللّام ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾، وهو لا ينتفعُ بسهولة من بخل؛ تعيَّنَ تأويلُ نظمِ الآيةِ بإحدى طريقتين: **الأولى**: إبقاء فعلِ (نيسِّر) على حقيقته، وجعلُ الكلام جاريًا على خِلافِ مُقتضَى الظّاهر بطريق القلب، بأن يكونَ أصلُ الكلام: فسنيسِّر العُسرى له، ولا بدَّ من مُقتَضٍ للقلب، فيُصارُ إلى أنَّ المُقتضيَ إفادةُ المُبالغةِ في هذا التَّيسير، حتَّى جُعلَ الميسَّر ميسَّرًا له، والميسَّرُ لهُ ميسَّرًا. **والثّانية**: أن يكون التَّيسيرُ مستعملًا مجازًا مرسَلًا في التَّهيئة والإعداد بعلاقة اللُّزوم بين إعدادِ الشَّيءِ للشَّيء وتيسُّرِهِ له، وتكون اللّامُ من قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ لامَ التَّعليل،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 85.
(2) الرازي التفسير الكبير: 16/ 204.

أي: نُيسِّرُه لأجلِ العُسرى، فالمرادُ بالعُسرَى جهنَّم، على أن يكون الوصفُ صارَ علَمًا بالغلَبة على جهنَّم، والتَّهيئةُ لا تكون لذات جهنَّم، فتعيَّن تقديرُ مضافٍ بعد اللّام يناسب التَّيسيرَ، فيُقدَّر: لدخول العُسرَى، أي: سنعجِّل به ذلك، والمعنى: سنجعلُ دخول جهنَّم سريعًا.

ويجوزُ أن يكون معنى الآية: أن يُجعلَ التَّيسيرُ على حقيقته، وتُجعلَ العُسرَى وصفًا، أي: الحالة العُسرَى، وليس في التَّركيب قلبٌ، والتَّيسيرُ بمعنى الدَّوام على العمل[1].

سرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾:

التَّحذير الشَّديد للمؤمنِ

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ ولم يَقُلْ: (نُسهِّلُ لهُ المعصية)؛ لبيانِ أنَّ المُرادَ تيسيرُ الطَّريقِ للمعصية فيَسهُلُ عليهِ السَّيرُ فيه بالرَّغمِ من أنَّه عسير؛ إلّا أنَّ الله تعالى جعلَ من السَّهلِ عليه الوصولَ لطريقِ المَعصيةِ والسَّيرَ فيه، وبذلكَ يكونُ هذا التَّعبيرُ من بابِ التَّحذيرِ الشَّديدِ للمؤمنِ؛ خشيةَ أن يجدَ الطَّريقَ إلى الهاويةِ سهلًا ميسورًا، ويتعايشَ فيه مع المُحرَّماتِ بكلِّ أريحيَّةٍ وطيبِ خاطر.

سِرُّ التَّعبير بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ القرآنيُّ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، ولم يقُلْ: نُعسِّرُهُ للعُسرَى من بابِ المُقابلةِ لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ لإفادةِ الثَّناءِ على عكسِ المَقصودِ بالآية في قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، وللإشارةِ إلى أنَّه يُعسِّرُ الأمورَ على غيرِهِ وعلى نفسِهِ، وفي الآخرةِ يُعسِّرُ عليه دخولَ الجنَّة[2].

بلاغةُ الطِّباقِ والمُقابلةِ في الآيات:

شتّانَ بين أهلِ الجنَّة وأهلِ النّار

الطِّباقُ في هذه الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 384 - 385.
(2) فاضل السامرائي، لمسات بيانية: ص 372.

بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾، بين ﴿أَعۡطَىٰ﴾ و﴿بَخِلَ﴾، وبين ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ و﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾، وبين ﴿وَصَدَّقَ﴾ و﴿وَكَذَّبَ﴾، وبين ﴿لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ و﴿لِلۡعُسۡرَىٰ﴾، والمقابلةُ في هذه الآيات ظاهرة، فلا تحتاجُ إلى مزيدِ إيضاح.

بلاغةُ الجَمْعِ والتَّقسيمِ في الآيات:

بيانُ سبيلَي الخيرِ والشَّرِّ

في قولِ الحقِّ جلَّ ذِكرُه: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ محسِّن الجمع مع التَّقسيم[1]، وذلك أنَّه جمَعَ في قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، ثمَّ قسَّمَ في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، وفي ذلك رسمٌ لطريقِ الخيرِ وعاقبته، وطريقِ الشَّرِّ وعاقبتِه.

دلالة الواو في ﴿وَمَا﴾:

مَن يُسِّرَتْ لهُ اليُسرَى لا يُغني عنه مالُهُ شيئًا

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ عاطفة، والجملةُ عطفٌ على جملة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾، أي: سنُعجِّل به إلى جهنَّم إذا تردَّى فيها، ولا يُغني عنه مالُه الَّذي بَخِلَ به شيئًا من عذاب النّار. وإذا كانت (ما) استفهاميَّةً فيجوزُ أن تكون الواو للاستئناف[2].

سرُّ مناسبة مجيءِ هذه الآيةِ في السياق مترتبة على ما قبلها:

زيادةُ ذمِّ الكافرين وتقبيح حالهم

جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ بعد قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾؛ ذمًّا بعد ذمٍّ؛ لأنَّ الذي بَخِلَ بمالِه واستغنى به، جاءت هذه الآية لتوبِّخَهُ على مسلكِه وتنفِّرَ منه، وأمّا في الفريق

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 387.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 387.

الأوَّل فاكتفى فيه وفي مدحِه بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ لأنَّه من جوامع الكلم المحتويةِ جميعَ المحاسن[1].

دلالة (ما) في ﴿وَمَا يُغْنِى﴾:

طريقُ الخلاصِ من العذاب مسدودٌ في وجه الكافرين

آثرَ التَّعبيرَ بـ (ما) في قولِه تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ دون غيرها لتعدُّدِ معانيها؛ فيحتملُ أن تكونَ نافية، والمعنى: ولا يُغني عنه مالُه شيئًا. ويحتملُ أن تكون استفهامًا معناه التَّوبيخ، والمعنى: أيّ شيءٍ يُغني عنه مالُهُ إذا تردَّى[2]، فيكون نافيًا للإغناءِ على أبلغِ وجهٍ وآكَدِه[3]، وهذا من بلاغةِ القرآن في توسيعِ المعنى؛ لأنَّه لو أرادَ الاستفهامَ لأتى بلفظٍ صريح، نحو (ماذا يُغني عنهُ مالُهُ)، ولو أرادَ النَّفيَ لَقالَ: (لا يُغني عنهُ مالُهُ)، وإنَّما عبَّر بـ (ما) لتعدُّدِ المَعاني المُرادَةِ في الآية.

بلاغةُ التَّعبير بالمضارعِ في ﴿وَمَا يُغْنِى﴾:

لا أمَلَ للكافرين في الخلاصِ والنَّجاة

جيءَ بالمضارع في قولِه ﷻ: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الإغناءَ مُنتَفٍ؛ على الاستمرارِ والتَّجدُّد، وفي ذلك قطعٌ لرَجائهم وأمَلِهم في الخلاص.

وفيه توبيخٌ لمَن ظنَّ أنَّ مالَهُ يُغني عنه يومَ القيامة شيئًا، وهذا المعنى ظاهرٌ في قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨﴾ [الحاقة: 28].

معنى (عن) في قول: ﴿عَنْهُ﴾:

(عن) في قولِه تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ للتَّعدية، فتُفيدُ أنَّ انتفاءَ الإغناءِ متعلِّقٌ بالذي بَخِلَ بمالِه.

غرضُ تقديمِ ﴿عَنْهُ﴾:

تقديم ﴿عَنْهُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾؛

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 85 - 86، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 167.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 92.

للعنايةِ بكونِ انتفاءِ الإغناءِ متعلِّقًا بالبخيل، وللتَّشويقِ إلى المؤخَّر؛ ليتمكَّنَ في النَّفسِ عند وُرودِهِ عليها فضلَ تمكُّن.

دلالةُ الإضافة في ﴿مَالُهُۥٓ﴾:

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ﴾ لاميَّة، أي: مالٌ له، وفي ذلك زيادةُ تيئيس؛ لأنَّه إذا لم يُغنِ عنه مالُهُ؛ فمالُ غيرِه من باب أولى، وفي ذلك بيانٌ لسوءِ عاقبةِ منعِ حقِّ الشّارعِ في المال.

سرُّ اختصاصِ المالِ بالذِّكر:

تخصيصُ المال بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ﴾؛ لأنَّ الإغناءَ إنَّما يُتوهَّم فيه[1]؛ إذ يظنُّ المرءُ أنَّ مالَهُ يُخلِّصُهُ من كلِّ شدَّة.

دلالة ﴿إِذَا﴾ في ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾:

﴿إِذَا﴾ في قوله جلَّ ذِكرُه: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ ظرفٌ بمعنى (حين)، والمعنى: وما يُغني عنه مالُهُ حين تَرَدّيه. ويجوزُ أن يكون الغرضُ من التَّعبير بـ ﴿إِذَا﴾ التَّأكيد على حُصولِ التَّردي بمَن استغنى بمالِهِ عن الله.

المـــالُ في حـينِ العـذابِ لا ينفعُ الكافرَ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّردّي:

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بالتَّردّي في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ دونَ غيرِه لِما يَحمِلُهُ هذا اللَّفظُ من دلالاتٍ متعدِّدة؛ فإمّا أن يكونَ من قولِكَ: تَرَدَّى مِن الجَبلِ، أي: سَقَط، فيكونَ المعنى: تَرَدَّى في الحُفرةِ إذا قُبِر، أو تَرَدَّى في قعرِ جهنَّم. وإمّا تفعَّلَ من الرَّدَى، وهو الهلاكُ[2]، أي: إذا هلكَ. وفي التَّعبير به إشارةٌ إلى أنَّه بما قدَّمَهُ من أعمالِهِ الخبيثةِ هو المُهلِكُ والموقِعُ لنفسه[3].

هـــلاكُ المـــرءِ بكَسْبِ يدَيه

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 185.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 486.

نكتةُ التَّعبير بالماضي في ﴿تَرَدَّىٰ﴾:

المـالُ لا يُغني عـمَّـن تـحـقَّـقَ عذابُهُ وهَلاكُهُ

عُبِّر بصيغةِ الماضي في قوله ﷻ: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ المالَ لا يُغني عنه في وقتِ تحقُّقِ تردّيه، وهو الوقتُ الَّذي يبذلُ فيه الإنسانُ عادةً أنفَسَ ما يملك؛ ليخلِّصَ نفسَهُ ممّا هو فيهِ من المِحَنِ والشَّدائد.

نُكتةُ صيغةِ التَّفعُّل في ﴿تَرَدَّىٰ﴾:

هـلاكُ الـكـافـرِ أشـدُّ الـهـلاكِ وأفظَعُه

آثرَ التَّعبيرَ بصيغةِ التَّفعُّل في ﴿تَرَدَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ دون (هلك)؛ لِما تحملُه هذه الصّيغةُ من المُبالغة، كأنَّه تكلَّف في الهلاك، فهلكَ أشدَّ الهلاك، فهو أبلغُ من (هلك)، مع ما فيه من رعايةِ الفاصلة. أو هو (تفعّل) من الرَّدى بمعنى الوقوع، وعُبِّر به للفاصلة[1].

براعةُ تقييدِ عدمِ الإغناءِ بوقتِ التَّردّي:

ضـيـاعُ فـائـدةِ المـالِ عند شدَّةِ الاحتياجِ إليه

تقييدُ عدمِ إغناءِ المال بقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ - أي: إذا هلكَ - لأنَّه أحوَجُ ما يكون[2]، وهذا المعنى دلَّت عليه آياتٌ من القرآنِ الكريم؛ منها قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: 88 - 89]؛ فالمُشركُ وقتَ العذاب يُعلن عدمَ انتفاعه بمالِه ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨﴾ [الحاقة: 28]، وكأنَّهُ التفتَ إلى مالِهِ وسُلطانِهِ وقتَ الهلاك وأدركَ أنَّهما وبالٌ عليه وما استفادَ منهُما في دفعِ العذابِ عنه.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 306.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"